

وقفه مع كتاب

«حقوق الإنسان في الإسلام»

الدكتور جورج جثور^١

يتألف هذا الكتاب القيم من تصدير للدكتور إبراهيم مذكور، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية (ص ١١ - ٤٤)، ومن وثيقة رسمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي عنوانها: شرعة حقوق الإنسان في الإسلام وتاريخها ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م، ويبدو أن المنظمة قامت بتوزيعها (ص ٤٥ - ٦٤)، ومن شرح للوثيقة وتعليق عليها بقلم الدكتور عدنان الخطيب الذي كان لسنوات طويلة رئيس مجلس الدولة في سورية، وهو منذ مدة الأمين العام لمجمع اللغة العربية في دمشق والأمين العام المساعد لاتحاد المجامع اللغوية العنبرية العربية (ص ٦٥ - ١٣٠).

أما التصدير فمأخوذ من كتاب الدكتور مذكور الموسوم باسم لي الفكر الإسلامي (القاهرة ١٩٨٤) وفيه إلى جانب أمور أخرى تبيان لما في الإسلام من حرمة الرأي والفكر. يسوق الدكتور مذكور للدلالة على هذه الحرمة قولاً مأثوراً عن مالك: «ليس بيننا إلا من ردَّ ورُدَّ عليه إلا صاحب القبر هذا»، ويعني محمداً ﷺ. (ص ١٧). كذلك يبين التصدير القيمة الإنسانية في الإسلام وتكريم الإنسان وحسن دمه ونصرة الضعيف وتحرير الرقيق وحقوق المرأة وغيرها. ويبحث الدكتور مذكور

- عنوان الكتاب الكامل: حقوق الإنسان في الإسلام. أول فئتين لياذئ الشريعة الإسلامية في ما يتعلق بحقوق الإنسان. نشرته دار طلاس، دمشق، سنة ١٩٩٢، ١٣٤ صفحة من القطع الكبير. وقولاه مشروع وضعت عام ١٩٨٠ لجنة سورية رأسها الدكتور عدنان الخطيب تكليف من منظمة المؤتمر الإسلامي.
- أستاذ محاضر في العلوم السياسية، برنامج الدراسات العليا في العلاقات الدولية، جامعة حلب.

هذه المفاهيم بروح الموضوعية التي لا تكرر الواقع . فلنقرأ مثلاً كيف يتحدث في موضوع الشورى: «وتعتبر الخلافة الشريعة الأولى التي اندفع منها الشر على المسلمين فتفرقت كلمتهم واستعادت نعمة القليلة والشريعة... وحاول الباحثون تدارك الأمر دون جدوى»... (ص ٢٩ - ٣٠).

وحين يتحدث الدكتور مذكور عن التسامح الديني في الإسلام يختم حديثه بتحذير ملفت للنظر عن مخاطر التعصب فيقول:
«وأخشى ما نخشاه أن تبرز الصهيونية العالمية الإسلامي هذا المسلك البغيض وأن تغرس فيه ميلاً إلى الانتقام والاضطهاد» (ص ٣٦).
ثم إن الدكتور مذكور يقول في خاتمة التصدير ما ينبغي أن يبقى ماثلاً في الذهن:

«وقد تطوّر التشريع الإسلامي على مرّ الزمن وحرص دائماً على أن يتلاءم مع الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وفي وسعنا أن نطوّره دون خروج على الأصل أو عدوان على مبادئ» (ص ٤٤).

• • •

بعد التصدير تأتي وثيقة هي مشروع لشريعة حقوق الإنسان في الإسلام. وضعت المشروع لجنة برئاسة الدكتور عدنان الخطيب الذي هو، بالإضافة إلى ما ذكرته عنه أعلاه، عضو مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد وعُمان. وضمت عدداً من السوريين هم: الدكتور شكري فيصل الذي كان، رحمه الله، أستاذاً للأدب العربي في جامعة دمشق وعضو مجامع اللغة العربية في دمشق وبيروت وعُمان، والدكتور وهبي الزحيلي وهو أستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق. والدكتور رفيق جويجاتي الذي كان آنذاك مديراً عاماً دبلوماسياً في وزارة الخارجية السورية، والسيد إسماعيل ماجد الحمزاوي الذي كان آنذاك مديراً للعلاقات العامة في وزارة الأوقاف.

ورغم أنه لا يبدو واضحاً من الكتاب صاحب القرار الذي ألفت بموجبه لجنة كلها من السوريين، إلا أن الصورة في الصفحة ٤٥ تظهر أن الوثيقة صادرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي ومرسّعة من قبلها. وتذكر الصفحة ١٩١ من الكتاب أن اللجنة التي وضعت مشروع هذه الوثيقة كانت قد ألفت بناء على طلب من منظمة المؤتمر الإسلامي، وقد رُفِعَ إليها المشروع بعد وضعه. أمّا مآل المشروع فتوضّحه الصفحة ١٣٢ من الكتاب، وهي الأخيرة فيه، كما يلي:

«ولم يتسنَّ حتى اليوم لمنظمة المؤتمر الإسلامي عرض المشروع على مؤتمر للفتة الإسلامية في دورة له عادية ليرى رأيه في إقراره».

في هذه المراجعة لن نقف وقفات تفصيلية على المشروع وشرحه والتعليق عليه، ولن نقارنه مع المشروع الآخر (الأساسي) الذي تبناه مؤتمر وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي وزَّعَّه إلى مؤتمر الفتة الذي لم يقرَّه بعد. كذلك لن نقارن المشروع مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولا مع الإعلانات الإقليمية لهذه الحقوق كالإعلانين الأوروبي والأفريقي وغيرهما. كذلك لن أقف عند فكرة اختصاص حقوق الإنسان في دين معيَّن بإعلان خاص. وكلُّ ما سبق واجب ولكن فسحة الوقت المتاحة لا تسمح به الآن. ما سأفعله هو أن أقف وقفات موجزة مع أهم ما لفت نظري في المشروع الذي وضعته لجنة تحظى بتقدير الشخصي.

لفت نظري في التصدير تعبير الأمة الإسلامية، حيث ترد الفقرة التالية:

«وتأكيداً للدور الحضاري للأمة الإسلامية، وتجديداً لتاريخها، وتعزيزاً لكونها أمةً وسطاً ندعو إلى عالم متوازن...».

وتساءلت: هل ورد يا ترى تعبير الأمة الإسلامية في أيٍّ من دساتير الدول العربية والإسلامية؟ في دراسة أجريتها على الدساتير العريقة التي كانت نافذة المفعول عام ١٩٧٥، لم أجد تعبير «الأمة الإسلامية». ولا أدري ما هو عليه الحال الآن كما لا أدري ما كان عليه الحال وبما آل إليه في دساتير الدول الإسلامية غير العريقة. إلا أنَّ تعبير «أمة إسلامية» يستدعي نظيره: هل هناك - مثلاً - أمة مسيحية تضم شمل كلِّ مسيحي الأرض؟ ثمَّ ألم يرد في صدر صحيفة المدينة أنَّ سكان يثرب على اختلاف معتقداتهم «أمة واحدة من دون الناس»؟ ثمَّ أليس لكلمة «أمة» كما وردت في القرآن الكريم دلالات مختلفة؟ وبمؤدة أقول لواضعي المشروع، ومعظمهم صديق شخصي يقبل - كما أظنَّ - منِّي القول: ماذا لو أوردنا الصياغة التالية:

«وتأكيداً لدور المسلمين الحضاري، وتجديداً لتاريخهم، وتعزيزاً لكونهم مجموعة وسطاً...» متحاشين بذلك إرباكات كلمة مُربكة؟ هل كان يتغيَّر المعنى؟

ثمَّ إنَّ المادَّة ١/ ب لفتت نظري:

«لا تميز بين الناس بسبب اختلاف العرق أو اللغة أو الديار أو الجنس أو العقيدة...».

ويقول الدكتور الخطيب في شرح هذه الفقرة ما يلي:
«إنّ دارس التاريخ - إذا أنصف - يجد الإسلام بريقاً من أيّ تمييز بين الناس
بسبب العرق... ولا بسبب اللغة... ولا بسبب الديار... ولا بسبب الجنس... ولا
بسبب الدين. فالدين بشرعه أيضاً لله وحده وهو القائل «لا إكراه في الدين» (ص
٧٠). وأظنّ - ولا أقطع - أنّ كلمة العقيدة (أو الدين) لا ترد في مشاريع أخرى
شاهدتها لحقوق الإنسان في الإسلام.

كذلك وقت عند المادة ٣/ج:

«استمرار الحياة البشرية أحد أصول الإسلام لا يجوز تعطيله بمناهضة الزواج
ولا الانتقاص منه بمنع الإنجاب ولا إباحة الإجهاض لغير ضرورة شرعية».

وفي شرح هذه الفقرة من المادّة، قرأت ما أورده الدكتور الخطيب في
الصفحات ٧٥ - ٧٧ ولا سيما منه نصّ قرار المجمع الفقهي الإسلامي في الحكم
الشرعي في تحديد النسل الصادر في الدورة الثالثة المنعقدة بتاريخ ٢٣ - ٣٠ ربيع
الآخر ١٤٠٠ هـ. كذلك قرأت التماس في ص ٧٧ وبه أنّ مفتي مصر رأى أنّ
الإسلام لا يحرم تنظيم النسل إذا كانت مصلحة مجتمع ما تدعو إليه. وحين قرأت
ما سبق تذكّرت أنّي وقعت ذات يوم في كتاب مرجعي مسيحي - لم أستطع أن
أراجعها إذ أكتب الآن - على رأي لأحد آباء الكنيسة الكاثوليكية أو قرار لأحد
مجامعها مؤداه أنّ كلّ عمل بين زوجين (والمقصود عمل جسدي) لا يستهدف
الإنجاب إنّما هو جريمة دينية. ولا ريب أنّ هذا الرأي أو القرار غير مطبق واقعياً من
قبل الكثيرين، ولا يشعر موقفو تطبيقه بأنهم مجرمون دينياً. ثمّ كأنني تمثّيت لو كان
اقتصر نصّ المادة ٣/ج على الجملة الأولى: «استمرار الحياة البشرية أحد أصول
الإسلام».

وتأمّلت مطوّلاً المادّة الرابعة بفقرتيها:

أ - التدين حقّ لكلّ إنسان، ولا إكراه في الدين. فلا يجوز حرمانه منه ولا ممارسة
أي ضغط عليه للتخلّي عنه.

ب - يعيّن على المسلم - وقد اعتدى إلى الإسلام بالإيمان بوجود الله والاعتراف
بوحديّته - الثبات عليه.

فأمّا الفقرة الأولى فلا ريب أنّها لديّ بريئة من كلّ شائبة. وأمّا الفقرة الثانية
فقد أحبيت الأسئلة الخمسة التي أوردها الدكتور الخطيب في شأنها في ص ٨٠،

وأحييت خاتمة ختام البحث: «هذا ويكاد يكون من المثقفي عليه أن إدانة المرتد لا تكون إلا بحكم قضائي» (ص ٨٠). إلا أن ما افتقدته في الشرح والتعليق هو البحث في مسألة «وراثه الدين» إن يصح التعبير. ألم يلاحظ الفقهاء المسلمون منذ قرون أن والذي الصبي يهودانه وينصرانه ويُمجسانه؟ أليس في هذا القول إقرار بأن معظم الناس يرثون دين آبائهم ولا يختارونه؟ هل تعني المادة ٤/ب أن باستطاعة من أعطاه أهله الإسلام كدين صبيًا أن يعيد النظر في ما أعطي حين يبلغ سن الرشد؟ فإذا اختار إذ بلغ سن الرشد الإسلام دينًا فعليه الثبات عليه. فإذا لم يختره بل اختار دينًا سماويًا آخر فهل ينبغي اعتباره كافرًا ينطبق عليه نص الآية الكريمة: «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»؟ لن أتبرع بأي رأي في قضية شائكة، ولكنني كنت أتوقع من الدكتور الخطيب تفصيلًا أوفى، ولعلنا نحظى من قلمه الحز وفكره البير بالمزيد في هذه القضية.

وتأملت مطولاً. أيضًا في الفقرتين (أ) و(ج) من المادة ٦:

«لكل إنسان الحق في:

أ - أن يشارك في اختيار حكّامه ومراقبتهم ومحاسبتهم وتقويمهم وفقًا للأنظمة المقررة بمقتضى الشريعة.

ج - أن يتقصد الوظائف العامة وفق الضوابط الشرعية».

وقرأت باهتمام نص الشرح في الصفحات ٨٣ - ٨٦، ولكنني ما أزال أشعر بحاجة إلى مزيد من الارتواء. لن أدخل بصدد الفقرة (أ) في ذلك الجدل المستير في أفق، والمنتهب في أكره، الذي شغل المسلمين منذ إلغاء الخلافة. ولكنني كنت أحب للدكتور الخطيب أن يخوض الغمار على نحو أوفى. ثم إنني كنت أحب أن أجد إجابة بصدد الفقرة (ج) عن سؤال يشغل البال منذ زمن بعيد: هل تجوز ولاية غير المسلم على المسلم في شؤون الحكم بدرجات أقل من الولاية العظمى؟ أو حتى في الولاية العظمى نفسها عملياً مع إطلاق قاعدة اللاتمييز التي أتت بها المادة ١/ب؟ ولن أقف طويلاً عند المواد ٧ - ٩ الخاصة بحقوق الأسرة وهي حقوق أثارت وتثير العديد من التساؤلات، وإن كنت ألاحظ أن مادة المساواة في المادة ٨/أ جاءت بنص حريص، وأصفه بأنه حريص لكنني لا أقول «ملتبس»:

«المرأة شقيقة الرجل ومساوية له في الإنسانية، ولها من الحقوق مثل الذي عليها من الواجبات».

ثم إنني أحببت ما ورد في المادة ٨/ب من أن للمرأة شخصيتها المدنية...
وتحتفظ باسمها ونسبها، وأضيف على شرح الدكتور الخطيب وتعليقه أن احتفاظ
المرأة باسمها ونسبها أمر يزداد انتشاراً في مجتمعات العالم، وأن الإسلام كان رائداً
في هذا الشأن.

وتضمنت المادة ٢٣ الخاصة بما يترتب من حقوق وواجبات في أثناء الحروب
تلك المأثورات الخالدة من صدر الإسلام:

«في حالة الحرب لا يجوز قتل الأطفال والنساء والشيوخ والمنقطعين للعبادة
وغيرهم ممن لا مشاركة لهم في القتال، ولا يُقَطَّعُ الشجر ولا تنهب الأموال ولا
تخرب المنشآت المدنية ولا يُعتَل بالقتيل...».

ثم لم أملك إلا أن أعجب بما ورد في المادة ٢٤ بشأن الميت:
«... وعلى الدولة والمجتمع حماية حثمان الميت وتنفيذ وصاياه وفقاً لأحكام
دينه...».

ولم أملك إلا أن أقرنها بالمادة ١٢ التي تنول في الفقرة (ب):
«التعليم واجب على المجتمع والدولة، وعليها تأمين سبله... بما يحقق
مصلحة الجماعة ويتيح للإنسان معرفة دين الله تعالى...».

فكأنني لاحظت بالمقارنة ديناً واحداً في المادة ١٢، وإمكان وجود أديان
معددة في المادة ٢٤ .

وأخيراً فلا بأس من إيراد نص المادة ٢٥ الختامية:
أ - كل الحقوق والحريات والواجبات المقررة في هذه الوثيقة مقيّدة بأحكام الشريعة
الإسلامية ومقاصدها.

ب - الشريعة الإسلامية بمصادرها الأساسية المقررة هي المرجع الوحيد لتفسير أو
توضيح أي مادة من مراد هذه الوثيقة، ويرجع عند الاختلاف إلى أهل العلم
المتخصصين.».

وفي التعليق ما يوضح أن الفقرة (أ) قيد احترازي «لأنني حكم ورد في نص
المشروع بأنه لا يخالف ولا يمكن أن يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها».
وفيه أيضاً ما يوضح أن «مجمع الفقه الإسلامي» الذي أنشئ بعد تدوين الوثيقة، وهو
هيئة ملحقة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، يمكن أن يكون المرجع المتخصص بتفسير
أحكام الوثيقة (ص ١٣١).

وأميل إلى وصف النصّ في الفقرة (أ) من المادة ٢٥ بأنّه نصّ حريص أيضاً، ومباشرة بعد قراءته عدتُ إلى آخر فقرة في تصدير الدكتور مذكور التي يجدها القارئ في مكان سابق من هذا الكلام، والتي تؤكد أنّ في وسعنا تطوير التشريع الإسلاميّ «دون خروج على الأصل أو عدوان على مبدأ»، ثمّ وجدتني أضع خطاً تحت كلمة «مبدأ».

• • • • •

لا مشاحة في أنّ تفتين مبادئ الشريعة الإسلامية في ما يختصّ بحقوق الإنسان أمر هو من الأهمية بمكان عظيم. ولا مشاحة في أنّ النجاح في هذا الأمر آتية دفاع أوليّة عن قيم العرب والمسلمين بمواجهة حملة لا يستطيع أيّ منصف تبين كلّ ما تدّعيه من براءة. وقد ذكرت في كتابي العرب وحقوق الإنسان (دمشق، دار المعرفة، ١٩٩٠) أنّ حقوق الإنسان لغة السياسة المعاصرة، ولا أحد يدّعي البراءة للسياسة.

ثمّ لا مشاحة في أنّ نشر موضوع ميثاق حقوق الإنسان في الإسلام في دمشق، وفي هذا الوقت، أمر مفيد من ناحيتين: فمن ناحية، ثمة في النشر فائدة تذكير قادة منظمة المؤتمر الإسلاميّ بواجب التعجيل بإصدار ميثاق لحقوق الإنسان في الإسلام أو بواجب إعلانهم العدول عن الفكرة من الأساس. ولعلّ في صدور ما هو أشبه بدستور في السعودية الربيع الماضي مؤشراً إلى ترجيح الخيار الأوّل على الثاني. وما من ريب أنّ مرور زمن طويل على إعلان تصميم دون إنجازه يؤثّر سلباً على صدقية أيّة منظمة رغم أنّ مرور الزمن الطويل هذا قد يكون أحد أساليب بلورة شيء من الإجماع على التصميم يساعد على الإنجاز.

وثمة من ناحية ثانية فائدة جليّة في نشر مطبوع عن حقوق الإنسان في دمشق. وتبيّن دار طلاس إذ عمدت إلى نشر كتابين معاً، عام ١٩٩٢، في هذا الموضوع (الكتاب الثاني هو للمحامي خير الدين عبد القمند وعنوانه دفاعاً عن

• حين كنت أشتى هذه لزيارة وودتني محلة إنجليزية ذات سمعة أكاديمية عالية هي المحلة البريطانية لدراسات الشرق الأوسط (انغلند ١٨، العدد ٢، عام ١٩٩١). وفيها دراسة مؤقّفة عنوانها «أكل لحم البشر في أوائل العصر الحديث بشمال أفريقيا». تتحدث الدراسة عن أنّ بعض الناس أكل لحم الناس في شمال أفريقيا بين القرن السابع عشر وأوائل القرن التاسع عشر. أليس في اختيار هذا الموضوع، من حيث الأساس، معالم متخلّة على قيم العرب والمسلمين؟

حقوق الإنسان، وجاء في ٣٣٠ صفحة، منها ١١٥ صفحة بالفرنسية، وآمل أن تتاح لي فرصة التعريف به على نحو مستقل). ولعل هذين الكتابين بالإضافة إلى كتابي أنف الذكر الذي ظهر قبل عامين، هما كل ما أصدرته دور النشر السورية من مطبوعات يظهر تعيزُ حقوق الإنسان في عناوينها خلال نحو من ثلاثين عامًا. هذه الندرة في المطبوعات السورية عن حقوق الإنسان أمرٌ مفض من سمعتنا العلمية على الأقل، في وقت يزدهر فيه عالميًا النشر في حقوق الإنسان. ومما يذكّر أنّه صدر في دمشق عام ١٩٣٨ كتاب رائد عريثا في مرضع حقوق الإنسان مؤلفه المرحوم الأستاذ رثيف خوري. فما أحرانا إذن أن نتابع الريادة.

إلا أن للريادة شروطها، وأولها الشجاعة الفكرية. وفي ظروفنا العربية والإسلامية، وهي ظروف من المؤسف أنها لا توفر لنا - سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا - فرصة إقناع العالم بقائمة أولوياتنا، نجد أنفسنا مضطرين إلى بحث ما يحثه الآخرون.

ومما يحثه الآخرون منذ نحو من قرنين مسألة مساواة المرأة بالرجل. وفي هذا المجال لا بد لكل متصف من أن يقتر بفضل الإسلام في رفع شأن المرأة. إلا أن هذا الفضل لم يتابع على نحو متناسب مع روح الثورة التي أتى بها الإسلام في هذا الشأن قبل بضعة عشر قرنًا. الولاية السياسية للمرأة أمر ما يزال يثير التحفظ لدى جبهة قوية من الفقهاء، رغم أن التطور الإسلامي المعاصر شهد تولي بعض النساء الولاية العظمى في دول إسلامية كباكستان. كذلك ما تزال قضية التساوي في الإرث بين الابن والابنة تثير أشى أنواع الرفض. وما تزال أيضًا قضية استيعاب الإناث كل التركة تثير إشكالات لا حصر لها. ولأشرح هذه النقطة الأخيرة: في ظل العادات الاجتماعية السائدة في محيط سورية، بل ولأكثر دقة: في محيطي الشخصي من سورية، نادرة العائلة التي يتجاوز عدد ما تنجب الثلاثة. ضمن هذه العادات الاجتماعية المرشحة للانتشار بين كل فئات السكان، لا بد إلا أن نجد نسبة غليًا من العائلات يفتقر نسلها على الإناث اللواتي لا يقطعن تركة - بحسب التعبير الدارج - . في العادات الاجتماعية الماضية، كان من المفضل للعائلة أن تظل تنجب حتى يظل الذكر ولم يتجاوز عدد الإناث قبله أصابع البدن. أما الآن، فلا نسبة العائلات التي يقتصر إنجابها على الإناث إذن قد تصبح (وقد تكون أصبحت فعلاً لدى بعض الفئات الموصوفة عادة بالمتعلمة) نحوًا من ١٥ - ٢٥٪ وهي نسبة مرتفعة. لماذا ينبغي على رب هذه العائلة أن يخشى أقرب عتبة إليه، ذلك الذي

مشارك صفاره إرثهم منه؟ أليس ثمة من حل؟ في الفقه الجعفري حلٌ معقول، حيث تستوعب الإناء التركة، ولهذا الحل مؤيدات مقول بها في ذلك الفقه. ومن الشجاعة الفكرية تطوير التشريع الإسلامي في هذا الاتجاه، ضمن ما قاله الدكتور مذكور: «دون خروج على الأصل أو عدوان على مبدئه». ولن يقول أحد إن الأصل هو أن يرث الأخ من تركة أخيه ما هو حقٌ بدهي لبنات أخيه، أي كل التركة. أليس من الأصل، قبل أن يرث الأخ من مال أخيه الذي يؤد أن يورثه إلى بناته، أن يعمل الشارع على صيانة النسيج الاجتماعي، فلا يكون لأحد كسب من غيره يهدد هذا النسيج ونعاسكه؟

تلكم نقطة أرجو أن تكون في مقدمة ما يبحثه فقهاء الشرع وحقوق الإنسان عندنا، وهي تحتاج لا ريب إلى شجاعة فكرية يتصف بها الدكتور عدنان الخطيب وصحبه.

وثمة نقطة أخرى أثيرها منذ مدة:

في عالم اليوم حملة لإلغاء عقوبة الإعدام. لن أناقش الآن ما يناقشه من فترة جهابذة العلوم الجنائية في شأن جدوى عقوبة الإعدام. حملة رافعي لواء حقوق الإنسان لإلغاء العقوبة القاسية أمر واضح لا مرأ فيه، وتلقى تجارياً عالمياً - حكومياً وشعبياً - لا مرأ فيه أيضاً. وفي ثانيا الحملة تهجم على الإسلام بصورة أنه دين عنف يخلو من الرحمة. والتهجم - بريقاً كان مصدّره الجهل، أو غير بريء مصدره الغرض - مؤيد لنا. وفي مبادئ الإسلام ومثله نبيّه ما يسمح لنا أن نكون طليعة المتبئين للتسامح إزاء من يقال إنه مستحق الإعدام. ألم يكن شاملاً عفو النبي ﷺ يوم فتح مكة، شاملاً حتى لمن كان من أهل مكة قاتلاً لمسلم؟ ألم يضع في خطبة حجة الوداع دماء الثأر؟ أليس في بعض معاني الإعدام معنى الثأر؟ ذلكم مضمار ما أحلى إذن أن يتبارى فيه الفقهاء، ولديهم من تاريخنا آيات من التسامح قد لا يضاهيها في سموها مدى وعمقاً دين آخر.

ليس في الميثاق المقترح ذكر للصهيونية، تلك الصهيونية المذهبية التي تسببت في إخراج أهلنا من ديارهم. وفي ميثاق حقوق الإنسان الإفريقي توصيف لهذه الصهيونية بأنها عنصرية. كذلك يرد هذا التوصيف في مشروع الميثاق العربي لحقوق الإنسان.

(راجع النص في جتور: العرب وحقوق الإنسان، دمشق، دار المعرفة،

١٩٩٠، ص ٥٣ وما بعدها).

أليس من المناسب إذن أن نرى ما في الصهيونية من عنصرية ونتجته في نصّ الميثاق الإسلاميّ المقترح لحقوق الإنسان؟ وإذا كان يُردُّ على هذا الكلام بأنّ قرار الأمم المتّحدة رقم ٣٣٧٩ الذي سارى بين العنصرية والصهيونية قد أُبطل، فردّي على الردّ أنّ المشروع الذي بين أيدينا إنّما وضع عام ١٩٨٠، أي قبل سنوات طويلة من إبطال القرار. ثمّ لماذا علينا أن نلتزم بقرار الإبطال الذي اتّخذته الأمم المتّحدة في وقت أصرت فيه قوّة الدول الإسلاميّة في السنغال أواخر عام ١٩٩١ أنّ القرار المُبطل لا ينبغي أن يُبطل؟

° ° °

وقفتُ في ما سبق عند جملة ذات دلالة وردت في التصدير. ذكر الدكتور مذكور أنّ الإسلام لا يكاد يعرف واضطهاداً دينياً شيئاً بتلك الاضطهادات الكبرى التي سجّلها التاريخ القديم والحديث ولا تزال تشهد بعضها في تاريخنا المعاصر. وأخشى ما نخشاه أن تورّث الصهيونيّة العالم الإسلاميّ هذا الملك البقيض وأن تغرس فيه ميلاً إلى الانتقام والاضطهاد (ص ٣٥ - ٣٦).

شأنني كشأن الدكتور مذكور. أخشى أن تورّثنا الصهيونيّة ضيق الأفق الذي أشار إليه، وفيه يرمّ بالآخر، ذلك الذي ما هو إلّا من خلق الله. وما تشهده الساحة الإسلاميّة الآن من سفك دماء بين مذاهب وأديان، دماء تخصّ كلّها مواطنين في الدول الإسلاميّة، أمر، إلى جانب أنّه مؤسف، فإنّما هو تجلّل. كأننا لم نأخذ بتحذير أرادته الدكتور مذكور، بل خاطبنا قبل وقوعه بأعوام. تلكم رؤية صادقة لو نعقل. ثمّ إنّ الصهيونيّة ذاتها أخذت تتبرّأ من تعصّبيّتها، أو تحاول ذلك إن استطاعت، ولن تستطيع إلّا إذا لم تعد هي هي. قبل أشهر وافتنا الأنباء بقرار اتّخذه حزب العمل (المعارض آنذاك) بضرورة تطبيق العلمنة في إسرائيل، أي فصل الدين عن الدولة. وفي تموز ١٩٩٢ شكّلت حكومة إسرائيليّة بقيادة حزب العمل تولّت وزارة التريّة فيها شلوميت ألوني وهي زعيمة تكتل سيريتز الذي يوصف بأنّه يساري، ويقال إنّها متبداً برنامجاً إصلاحياً في المدارس يهدف إلى تخفيف الإلحاح على الدين. قد يكون الأمر كلّه خبطة أو ضربة علاقات عانة هادفة إلى تحسين صورة الصهيونيّة دولياً بعد أن افترس ما تتضمّنه من تعصّبيّة. ولكن هذا لا يعفيها من المراقبة المدققة لِمَا يجري هناك واستخلاص ما ينبغي أن يستخلص.

° ° °

ما قصدت أن أكذب عن الكتاب القيم بإطالة قدر ما أطلت، إلا أن الموضع
شائق وهام رغم أنه شائك محفوف بالمخاطر. والحوار فيه مُجيد دائماً وأبداً إذا كان
هتماً أن تتمسك بقيم الإسلام العليا وبقِيم حقوق الإنسان التي هي لغة العصر.
وأسأل الله أن يكون عَصَمَنِي من الشطط في ما كتبت، فذلك مبلغ ما أعلم، وفوق
كل ذي علم عليم».

الإمامة، من أبعاد الأفكار في أصول الدين

تأليف سيف الدين الأمدي (ت ٦٣١ هـ)

دراسة وتحقيق محمد الزبيدي

دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢، ٣٦٠ صفحة

سيف الدين الأمدي هو إمام أصولي (٥٥١ - ٦٣١ هـ) كتب في علم الكلام وأصول الفقه، وبدأ رحلته في مجال العلم في مسقط رأسه آمد، ثم انتقل إلى بغداد حيث أفتن علم النظر والكلام والحكمة إلى أن استقر به اللطاف لمرحلة معينة في دمشق حيث تابع التحصيل العلمي وبرع في فنون المعقول وعلوم الأوائل التي كانت أصبحت من المنوعات أو المحرمات في بغداد. ومن دمشق إلى مصر، ثم إلى حماد في بلاد الشام. ومن الكتب الهائلة التي وضعها الأمدي كتاب الإحكام في أصول الأحكام، وكشف التوريات في شرح الإشارات، وكتاب المبين في معاني ألقاظ الحكماء والمكشوف، وكتاب أبعاد الأفكار في أصول الدين وهو كتاب ضخم.

وكتب الإمامة وهو جزء من الكتاب الأخير يتناول مسألة هي لباب الفكر السياسي ونسبوي في الإسلام، وقد حققه الأستاذ محمد الزبيدي تحقيقاً متيناً وقدم له بما تؤثر من معومات واندفاعات. وقد تم تحقيق النص استاذاً إلى ثلاث مصورات لسخ من كتاب الأبعاد محفوظة في برلين وأيا صوفيا وبيروت، ونسخة بيروت موحدة في المكتبة الشرقية (رقم ٢٨٣) في تحف الأباء اليسوعيين.

تأثير موقف الأمدي من الإمامة فهو يقول بأنها ليست من أصول الدين (وهو موقف مغاير لموقف الشيعة) «ولست من الأمور اللامدنية، وإنما هي مرض كفاية يجب السعي إلى إقامتها» (ص ١٥٥). وهو في ذلك يلزم الموقف الأشعري في الموضع. والافت أن الأمدي في الأبعاد يجاري نقاسي عند اختيار في كتاب المعنى فيحقق للموضع حيزاً واسعاً ويقوم بمراجعة شاملة وافية للموضع بعرض مواقف الفرق بصورة موضوعية دقيقة.

م. د.

كتاب المعتمد في أصول الدين

تصنيف الشيخ الإمام ركن الدين محمود بن محمود الملاحمي الحارازمي،
عني بتحقيق ما بقي منه مارتن مكدرومت وويلفرد ماديلونغ،
منشورات الهدى، لندن، ١٩٩٠، ١٨ + ٦٢٦ صفحة

من المعروف أنَّ الكثير من نصوص فرقة المعتزلة الإسلامية الكلامية اندثرت مع طلوع القرن الثالث عشر، ومع اشتداد النزعة المعادية لعلوم الأوائل والحكمة والنظر والفلسفة في ديار الإسلام. إلا أنَّ بعض هذا التراث بقي على قيد الحياة، بعد أن أعفني عن الأنظار وأسكن في قعر الأدراج ومن المخطوطات الاعتزالية النادرة التي تُكشف عن وجودها وعمل على تحقيقها ونشرها الأستاذان مارتن مكدرومت وويلفرد ماديلونغ (الأوَّل من جامعة القديس يوسف في بيروت والثاني من جامعة أكسفورد) أجزاء من كتاب المعتمد في أصول الدين للأصمعي المعتزلي محمود بن محمد الملاحمي الحارازمي (توفي سنة ٥٣٦ هـ). والواضح أنَّ الملاحمي هو من أتباع مدرسة أبي الحسين النيسابوري الذي أنكر نظرية الأحوال بالنسبة لصفات الله وأنَّ المعلوم هو شيء وأكد أنَّ أفعال الإنسان تحدث بالضرورة بحسب دواخيلها. أمَّا التحقيق فإنَّه اعتمد على المخطوطتين للوجودتين في الجامع الكبير في صنعاء، رقم ٢١٣ ورقم ٢١٤، علم الكلام.

وعند مراجعة فهرس محتويات الأجزاء المنشورة، نرى أنَّها توازي الترجيح وبعض العدل وهذا يعني أنَّ أجزاء عديدة أعلن عنها الملاحمي في أحد النصوص الأولى (راجع ص ٧) قد فُقدت. وهو قد قال إنه سيشرح أقاويل الفرق فيها (راجع أيضًا الصفحات ٨ - ١١). واللافت للنظر في النسخ المنشور من كتاب الملاحمي أنَّه في النصوص التي خُصصها هذا الأصمعي لموضوع «الطريق إلى العلوم الدينية» واختياره كعقيدة للمعتزلة النظر العقلي طريقاً إليه من الضروري والمكتسب، فيقول إنَّ «النظر الصحيح المتعلِّق بالأدلة يوصل إلى العلم»، ويُبطل «قول من زعم أنَّه لا علم إلاَّ بالبداهة والخبريات» ويقول «من زعم أنَّ العلوم الدينية بغير رؤية» وأنَّ الطريق إلى العلوم المكتسبة هو النظر والسمع مجرعهما وأنَّ الطريق إلى تلك العلوم هو التقليد أو السمع وحده. ومن النصوص اللاحقة أيضًا ما يورده الملاحمي من إبطال لقول «من يزعم أنَّ النظر والاحتجاج في الدين بدعة وأنَّ الإسلام لم يرد بالسيف فيأتي بالحجج السمعية» (آيات قرآنية) لرفض هذا الزعم، وكذلك بدليل عقلي يشير إلى «أنَّ الغلبة بالسيف لو ظهر بها أنَّ الغالب به بعد الدعوى محقٌّ، لزم في الكفار، إذا غلبوا الرسول ومنهجه مانسيف بعد دعائهم إلى كفرهم، أن يكونوا محقِّين وأن يكون الرسول ومنهجه، وإلَّا ذلك مبطلين، وبطلان ذلك ظاهر» (ص ٧٥). إنَّ نشر كتاب المعتمد في أصول الدين، في نشرة راقية وقالب علمي متين، هو من الإنجازات الهائلة التي تضاف إلى مكتبة الأعمال الاعتزالية.

ص. د.

إعجاز القرآن وأثره في تطوّر النقد الأدبي

بقلم الدكتور علي مهدي زبون

سلسلة «نصوص ودروس»، دار للشرق، بيروت، ١٩٩٢، ٤٦٣ صفحة

حمل لفتكّرون المسلمون همّ الكشف عن أسرار البلاغة القرآنية، ودلائل الإعجاز فيه. وختلفوا حول ممكن المزيّة، وصار هذا الأمر مدعاةً لتأسيس حركة نقدية موضوعها: «إعجاز القرآن». وعندما تقول: «أثر الإعجاز القرآني»، إنما نعني به أثر الإبداع القرآني في مختلف أطوار مفاعيله، بدءاً بالتيّم الفئّية التي يكتسها النصّ، ووصولاً إلى الحركة النقدية المتمددة والمتجددة والتي حاولت دراسة تلك التّيّم وتفهّمها.

ولا ينحصر تأثير الإعجاز القرآني في النصّ وحده، بل يتعدّى ذلك إلى الحركة النقدية التي تناوله. فقرلة الإبداع القرآني من قبل الرّشائي مثلاً، وتحويله إلى مفاهيم جمالية، قد تحمّت بتأثير الإعجاز القرآني. ولكنّها سرعان ما تحولت عبر «النكت» من الانفعال إلى الفعل، فصارت مؤثّرة بدورها في نتاج القرون التالية سواء أكان موضوع ذلك النتاج القرآن، أم غيره من النصوص الإبداعية. وتتجمّع كلّ هذه الأمور: القرآن، والدراسات النقدية التي تناوله، وما تأثّر بها من دراسات لتصير مؤثّرة فاعلة في النقد الأدبي، وتندرج تحت عنوان: «أثر الإعجاز القرآني في تطوّر النقد الأدبي».

وتكتسب دراسة الدكتور علي زبون أهمّيّتها من كونها تعود إلى الإعجاز من خلال التيارات الفكرية لكي تبين حقيقة القراءات المختلفة للنصّ القرآني، وما استطاعت أن تُسهّم به كلّ مدرسة في الكشف عن قيم القرآن الفئّية.

ولقد مكّنتها هذه العودة من اكتشاف السرّ المصن الذي يربط نتاجنا النقديّ القديم بالحياة الفكرية السائدة. فأتّجهاها البلاغة العريّة الرّيسان: المعتزليّ الشيعي الذي رأى منها بُعداً الإصماليّ، حيث يمكن الإبداع في البنية الصوتية، والسنيّ الذي رأى منها بُعداً الكشفية، حيث يمكن الإبداع في البنية المنويّة، لا يخلّان فهم كلّ فريق من الفريقين لكلام الله وكلام البشر وحسب، ولكنهما يشكّلان مفتاح السرّ في دراسة مختلف المستويات النقدية: اللفظ والمعنى والتركيب ومفهوم الشعر.

ع. ز

بين التراب والروح

كيف نقيم العلاقات الروحية للبانة الإنسان - الآخر

دار للشرق، بيروت، ١٩٩٢، ٢٢ + ١٨٧ صفحة

هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات ألقاها مندوبون رسميون يخلّون تسع عشرة أسرة روحية تعيش في لبنان. وقد تحمّت هذه الأحاديث بدعوة من النية الجامعة في كنيسة نياح السيدة العنبراء بمحلّة رأس بيروت، وكانت أولى المحاضرات في خريف ١٩٨١ والأخيرة في بيان

١٩٨٣. وقد أطلع جميع المحاضرين على سائر النصوص التي تقدّم بها مصفاؤهم وجمعت كلها بموافقتهم لتصدر في هذا الكتاب. ولم يحل دون نشرها سوى عوائق الحرب المشؤومة التي عصفت بليتان، وما إن هدأت الأحوال حتى صار إلى طبعها بالتعاون بين دار المشرق ودار الرشد الإسلامية ومجلس كنائس الشرق الأوسط ودار خضر للطباعة والنشر ومركز الدراسات الأرثوذكسي الأنطاكي.

ومن ميزات هذا العمل أنّ أهما من المحاضرين لم يكن يعلم بوجود مشروع كتاب، بل كان يعتقد، شأنه شأن المظنين أنفسهم، أنّه يتلّم محاضراته ضمن إطار ضيق لشباب جامعي.

كما أنّ من ميزات هذه الصفحات أنّها تبين بوضوح مدى التقارب العظيم بين سائر العائلات الروحية اللبنانية في نظرتها إلى الإنسان على الرغم مما أفرزته الحرب وهو في معظمه مصطنع لا وثيق علاقة له بحقيقة الواقع اللبناني.

أ. كميل حشيم

المجمع الفاتيكاني الثاني

دساتير - قرارات - بيانات

أشرف على الترجمة وقام بالتقسيم الأكبر منها عن الأصل اللاتيني
الأب حنا الفاخوري

منشورات المكتبة البولسية، جويلية، ١٩٩٢، ٩٨٠ صفحة، مجلد

ما كاد المجمع الفاتيكاني الثاني يختم جلساته منذ نحو ربع قرن حتى بررت بعض ترجمات أعماله إلى العربية. وكانت أولها تلك التي أشرفت عليها إكليريكية الأقطار الكاثوليك في المعادي (القاهرة) سنة ١٩٦٧، وتبعها بعد عامين ترجمة الآباء إغناطيوس عبده خليفه اليموني - أخبير في ذلك المجمع - ويوسف بشاره وفرنسيس البصري - وجميعهم اليوم مطارنة. وقد صدرت هذه الترجمة مرة أولى عن دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) ثم أعيد طبعها مع بعض التنقيح سنة ١٩٨٤ بهمة دار الكتاب المفضل (الزلفاء قرب بيروت). وجميع تلك الطبعات نافذة اليوم. كما صدرت ترجمات لبعض وثائق المجمع كترجمة «الدستور العقائدي في الكنيسة» قام بها المرحوم المطران ميخائيل ضوميط سنة ١٩٦٥ (دار المشرق)، و«الدستور في الليتورجيا المقدسة» بقلم المطران (البطريرك اليوم) نصرالله صفي، عام ١٩٦٦ (دار المشرق). إلى ذلك نشرت المكتبة البولسية سنة ١٩٦٦ عدداً من النصوص المجمعية مما هو أوثق ارتباطاً بأبناء الشرق، وقد فندت ضحيتها أيضاً.

وألم الفراغ الحاصل رأت المكتبة البولسية أن تنأز ومعهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت بحريصاً لتصدر وإياها طبعة جديدة لأعمال المجمع العظيم. وتتميز هذه الصّعة بأنها لّمت الدقّة في الترجمة انطلاقاً من الأصول اللاتينية، فضلاً عن الصّحة في اللغة وأناقة الأسلوب. ولا بدّ من التنويه بتلك الصّفة الأخيرة لأنّ سائر ما سبق من الطبعات - باستثناء الطبعة البولسية المختصرة سنة ١٩٦٦ - كان يشكو من بعض الجمود والتعقيد في الجملة. أمّا هنا فسلاسة في التعبير وإشراق في

البيان يرتاح لهما القارئ كلَّ الارتياح. ويعود الفصل في ذلك أولاً إلى المرحوم الأب جورج الفاخوريّ ومن آزره في السَّنات: المرحوم الأرشمندريت يوسف درّة الحُدّاد، ثمَّ إلى الأب حنا الفاخوريّ الذي قام بعدهما بترجمة القسم الأكبر من الوثائق. وجدير بالذكر أنَّ من المساهمين في انْقِلاب قدس الأب يوسف الكلّاس الرّئيس العامَّ على جمعيّة المرسلين البولسيّين.

ومن حنات هذه الطبعة أنَّ لها مقدّمة ضافية حرّرها سيادة المطران اللاهوتيّ كيرلس سليم سترس والأب غاني هاشم البولسيّ. ومما قام به الأب هاشم أيضاً وضع المقدّمات لكلِّ من الوثائق، وهي وإن لم تتوسّع في الموضوع على نحو ما فعلت طبعة دار المشرق، إلّا أنَّها جاءت باختصار المفيد.

فبقيا نتبي على ما قام به أصحاب هذا العمل الجليل؛ نوذّ إبداء ملاحظتين عابرتين. الأولى في شأن اللغة: ففي حين نهضتُ حضرة الأب حنا الفاخوريّ لِمَا أفضى على الكتاب برمته من بلغة لغة ونصاعة بيان، تمتّى عليه - لصالح طبعة ثانية - لو بدّل بعض المفردات العريضة، أو قل غير المألوفة، التي وردت في نصّه. فقد يصعب مثلاً على السواد الأعظم من المشتغين أن يفهموا معنى كلمة للنافحة (ص ٢٨٨، المقطع ٧٢) أو المردّة (ص ٢٨٦، المقطع ٧٠). فلو جعل مكان الأولى لفظة المناضلة أو النضال لأفهم الكثيرين، ولو استعاض عن الثابتة بكلمة الدّخّل لكنى معظم قرائه مؤونة العودة إلى المعجم، والجدير بالذكر أنَّ حضرته استعمل لفظة الدخّل هذه غير مرّة (مثلاً في صفحة ٢٨٨).

أما الملاحظة الثانية فهي لإنصاف الأب يوسف درّة الحُدّاد رحمه الله. ذلك بأنّه جاء في مقدّمة الكتاب (ص ٨) ما يُستشفّ منه أنَّ صاحب الفضل في ترجمة ما نشره البولسيّون سنة ١٩٦٦ هو الأب جورج الفاخوريّ، في حين أنَّ الأب الحُدّاد ساهم معه إلى حدٍّ بعيد فنشر بعض الكتاب تماماً.

بقي أن نشكر المكتبة البولسيّة لِمَا أسدته من خدمة إذ نشرت هذا الكتاب الثّقيب، ورحب أن نتحفنا عتاً قريب بالجلّد الثاني الحاروي الفهارس التحليليّة.

أ. كميل حشيمه

السياسيّ القدّيس، المهاجماً غاندي

بقلم أديب مُصلح

منشورات المكتبة البولسيّة، سلسلة التوايح، ١، جبريّة، ١٩٩٢، ٥٩١ صفحة

لا سمحنا إلّا أن نشكر المكتبة البولسيّة على إصدارها «سلسلة التوايح»، كما نقدر أن نطّقت هذه السلسلة بمؤلّف عترانه هو بناته برنامج ورسالة: السياسيّ القدّيس - المهاجماً غاندي، وكَتَبَ بالمؤلّف ينوي به إحداث حادثة في عقلنا فبجمع في عترانه التناقضات بقوله «السياسيّ القدّيس». أقفا نعوّذنا أن نسع الناس برؤودون «أن السياسة ما دخلت أمراً إلّا أفدته»؟ وسعنا أكثر

من مرة صديقاً يوجه النصيح إلى صديقه فيقول: «ما لك والسياسة، فأينما قدرة». وهذا الحكم القاسي ما أخرجنا إلى إصلاحه لتصلح البلاد.

قد أحسن الأستاذ أديب مصلح ومعه المكتبة البولسية نشر درس مهيب عن حياة غاندي وأخلاقيته ونشاطه ومشقاته في خدمة قضية وطنية إنسانية تُوجهها للمثل العليا، ذُهب غاندي في النهاية ضحيته رغم كل ما أحاط به من هالة تقدير وتكريم، كأن قوَّات الشر أرادت أن تُثبت أن القديس لا محلَّ له في السياسة.

إنَّ غاندي بامتياز فمه ونور عينه يوحى لكل ذي عقل وعلم بالتاريخ المعاصر، المنهج البطولي للوصول إلى سياسة حكيمة صالحة تبقى نبراشاً بيدي إلى الخير.

وقد أحسن المؤلف في ترتيب بحثه وتنسيق، فكشف مختلف المراحل والأحداث في حياة غاندي منذ طفولته ليثبت لنا صحة عنوانه «السياسي القديس»، وأطلعنا بالتفصيل على عناصر تكوين شخصيته الرجل وممَّز مواقفه رغم كلِّ المعاكسات التي واجهها حتى مع أقرب السياسيين إليه مثل رفيقه بل تلميذه نهر، وهذا ما ظهر جلياً مثلاً في موقف الاثنين من قضية تقسيم الهند بانفصال الباكستان، ومعروف كلِّ ما جرَّه هذا الانفصال من وبيلات على جميع الأطراف.

أما إخراج الكتاب فلا بأس به، وأسلوبه محكم جذاب، سوى أنَّه يؤخذ عليه بعض الإسهاب في لهجة تُحاكي الأسلوب الخطابي مع الإكثار من المرادفات، وبعضها الكبير عريض سيفظُّ عددًا من القراء، لا شك، إلى مراجعة «المُحدِّث»!

إلى ذلك فقد توفَّق المؤلف في نهاية الكتاب بنشر ملحق «مشغرات من أقوال غاندي»؛ ما يزيدنا فهماً لنفسيته السامية تُغذيها روح دنيئة قوامها ممارسة الصلاة والتقشُّف والتأمل العميق يبرز منه دور الربِّ في شؤون البشر (صفحة ٥٨٦).

أما في باب المراجع فكنا نتمنى ذكر كتاب الأب يوحنا قمير: غاندي رسول اللاعنف (منشورات دار المشرق).

ثم إنَّ المؤلف قد اهتم بوضع خريطة للهند مع إيراد عدد كبير من الصور عن حياة غاندي، نيا لينها كانت أكثر وضوحاً!

وفي النهاية نأمل أن يلاقي هذا الكتاب النجاح الذي يستحقُّه علَّه يساهم في رفع المستوى الأدبي والروحي عند السياسيين فيغيِّر الرأي السائد ويتحقَّق الجمع بين السياسة والقداية!

أ. عبدالله داغر

رسائل القديسة تريزيا الطفل يسوع

نقلها عن الفرنسية الأبوان سمعان نصر وفكتور نبعة الخلقصيان

سلسلة «دراسات كرمليّة»، ٣، المكتبة البولسية، جوبه، ١٩٩٢، ٣٢٦ صفحة

نتنفر المكتبة الكرمليّة إلى مؤلفات تعالج شؤون التراث الروحي المسيحي، لا سيما النصوص التي خلفها كبار الصّوّنين من شرقيين وغربيين. وقد أخذت المنشورات البولسية على عاتقها أن تسدَّ بعض هذا الفراغ، فأصدرت سلسلة رصينة للمضنون أنيقة الإخراج أسحتها «دراسات كرمليّة»،

هادفةً من خلالها إلى التعريف بكبار المتصوفين في مدرسة رهبان الكرمل. فكان الكتاب الأول عن مُصلحة الكرمليات القديسة تريزيا الأفيلية، والثاني عن «قديسة من بلادنا» هي مريم البواردي أو الطرباوية الأخت مريم يسوع المصلوب. والكتاب الثالث هو ما نحن في صدد، ويرمي إلى تعريف القديسة تريزيا الضئيل يسوع من خلال رسائلها.

هذه القديسة دُعِيَتْ «تريزيا الصغيرة»، لأن من باب الخط من رفعتها، بل تمسُّها مع رغبتها في أن تملك في حياتها سبيل الصغار للتواضع، طريق الأطفال المستسلمين لأبيهم السماوي القدير الكلبي المحبة. ولما كان المرء بأسلوبه، فقد عكست رسائل تريزيا تواضعها الحميم وثقتها بنوثة بالله وبراءتها، فجاءت عفويةً في ما تصوِّره من مشاعر، بسيطةً في لغتها، على سبيل الخبر الروحية، وفرح يتجلَّى بالدعابة والظرف أحياناً، وحكمةً هي ممَّا قال عنه المسيح: «أحمدك يا أبيت (...)» على أنَّك أخفيت هذه الأشياء على الحكماء والأذكياء، وكشفتها للصغار» (مثنى ٢٥/١١).

ولقد حاول المرَّبان المحافظة على ما أُثِّبت به رسائل تريزيا من عفوية وسذاجة، وقد الأب سمعان نصر في مقدِّمته القيمة ما حَرَفه: «توخينا البساطة في الفقل إلى حدِّ المستوى الشعبي بعض المرار (...)» وليعبِّرنا القارئ إذا عثر على بعض تعابير ملتوية التركيب، فالنعاني عند القديسة تريزيا هي أوسع بكثير من الكلمات» (ص ٨).

وأثناء مع إكبارنا الجهود التي بذلها الناقلان، واعترافا بتوفيقها في الكثير ممَّا عرَّباه، إلَّا أنَّ لنا عددًا من الملاحظات سرِّقنا حبًّا للحقيقة العلمية وخدمة للقراء. فَإِنَّ نَصَّ الأبرين الفاضلين لم يسلِّمْ، في كثير من الأحيان، من الأغلاط البيئية والركاكة في تأدية المعاني، فضلاً عن الاضطراب في نقل بعض المصطلحات، بحيث أُنحِت وفرة الأخطاء في بعض الصفحات عائناً ون ندوَّق مكونات النصِّ.

فمن المعاني التي التبت على الناقلين فجاءت ترجمتها عكس المراد، نورد على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

— جاء في الصفحة ٢٥٨ أنه لا يجوز للراهبة الكرملية أن تتلَّم الرسائل طوال «تقدمة عيد الميلاد». فما هكذا نُقل إلى العريضة كلمة L'Avent بل عبارة «زمن المحي». ولعلَّ المرَّبان أرادا كلمة «مقدِّمة» بدلاً من «تقدمة»، والبون بين الاثنين شاسع، فضلاً عن ركاكة المصطلح الأول في هذا المجال. و Advent هي الصيغة الفرنسية للكلمة اللاتينية Adventum وتعني مجيء (المسيح).

— جاء في ختام رسالة القديسة إلى أختها الراهبة أنيس يسوع (ص ٢٦): «ولا تحقدي عليَّ بسبب هذه الرسالة» (لأنَّ حظي غير واضح). فهل يُعقل أن «تقدِّم» راحة نقيّة على أختها مثل هذا السبب انشائه؟ والأمل الفرنسي tu ne m'en voudras pas trop يعني فقط «لا تراخذي بي» إذ تخفَّف كلمة trop مفهوم اخذة أو العنف الذي يتخفَّته فعل en vouloir.

— ورد في الصفحة ٢٧ على لسان تريزيا وهي تخبر مرشدتها الروحي عن رغبتها في دخول الدير: «أني يريد حتماً أن أدخل يوم عيد الميلاد». فاستوقفتنا كلمة «حقاً» لغرابها ونشازها في سياق الموضوع. وإذا بالنصِّ الفرنسي يقول ما هو على شيء من الاختلاف: Papa veut bien que

j'entre à Noël ومعنى ذلك: «أني بقبل، أو لا يمنع في دحولي...». فعبارة لا il veut bien تغيد التشديد، بل على العكس، وخلافًا لما يُظنُّ أزلَّ وهله، التخفيف. إنها اللغات بدقائنها التي لا تتبع المنطق المنتظر، فضلاً عن أنَّ لكلِّ لغة عباراتها الخاصة بها والتي لا يمكن نقلها بحريتها ولا وقع اللبس الشنيع.

– ومن هذا اللبس الناج عن عدم فهم «الفرنساويَّات» (gallicismes) هذه الجملة: والحب الذي تحمله لك» (ص ١٤٥) وهي ترجمة حرفية مخلوطة لبقا نغته الفرنسي L'affection qu'elle vous porte، والترجمة السليمة هي «الحب الذي تكته لك».

– مثل آخر: أخبرت تريزيا أنها عن مقابلتها خالها ووصفها لتتال موافقة على دخولها الدبر، مكبت (ص ٢٥): «قال لي إنه منذ مئة بربتاب من كوني بحاجة إلى أن أقول له شيئاً». فبالإضافة إلى ركافة الجملة العريضة وتعقيدها، ثمة غلطان أولهما «مكبت» فاستعمال كلمة «ربتاب» تعني أنَّ هناك شكاً مقروناً بالانتهام، وهذا لا يليق لا بالخال ولا بتريزيا. والواقع أنَّ العبارة الفرنسية هي il se doutait ولا تعني سوى أنَّ الظنَّ كان بخامره (يفضل se douter غير فعل douter). كما أنه لا داعي لكلمة «حاجة» إذ لا وجود لها في الأصل وبالتالي لا... حاجة لها. ونفترج الترجمة الآتية للجملة كليها: «إنه منذ مئة بخالجه الظنَّ أنَّ لي شيئاً أقوله له».

إلى ذلك، هناك الترجمات المخلوطة للأعلام:

– في الصفحة ١٣، الحاشية (١) قيل إنَّ أخت تريزيا هي «في مدرسة مانس» وهي ترجمة في غاية الشطط، والمفروض ما يلي: في إحدى مدارس لومان. كما جاء في الصفحة ٢١٠ (سطر ٨): «فكرة الانتقال إلى مانس». في حين ينبغي القول: «الانتقال إلى لومان». فأداة التعريف Le في اسم مدينة Le Mans هي من صميم الاسم، كما أنَّ حرف الـ S في آخره لا يلفظ.

– وفي مكان آخر عُثِر اسم مدينة Caen على النحو الآتي: كاي، وهو غير صحيح إذ يُلَفظ الاسم على شاكله ظرف الزمان الفرنسي Quand.

– واسم تريزيا نفسها تُكتب على اختلاف وعلى صفحة العنوان الداخلية: «تريزيا للطفل بسوع»، وهو غلط بين، ولعلَّ من سبب معشَّة اختلاف لأنَّ العيفة جاءت صحيحة في سائر صفحات الكتاب. والجنس بالذکر أنَّ رسم الأيقونة الخصلة التي تزيِّن الغلاف مانع في الغلط فأورد الاسم كالآتي: ... للطفل، منقذ النساء لا بكسرها!!

ثم هناك الخلط المستمر في ترجمة كلمة Tante. فتريزيا إذ ترسل امرأة حالها تخاطبها بكلمة Tante ومعلوم أنَّ اللفظة تعني الفرنسية الحالة والعمة وامرأة الخال وامرأة العم... فلم يتنبه الناقل إلى الأمر وماتت ترجمتهما في هذا العند متذبذبة تنتقل من «حالي» إلى «عمتي» – وهذه اللفظة غير صحيحة هنا – بين رسالة وأخرى وحتى في الرسالة الواحدة (أطلب مثلاً ص ١٨ و١٤٥ و٢٥٤).

ومن المثلَّف أنَّ الناقلين تعسفوا في الترجمة غير مرة حيث لا داعي للتصرف، لا بل أضعفنا بذلك قوَّة الأصل. فقد جاء في آخر الصفحة ٢٦١: «آه تفهسي (...). ابتك الصغيرة التي تردُّ لو

تُسَبِّحُ إِلَيْكَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فِي حِينٍ كَانَ يَنْبَغِي الْقَوْلُ: «وَأَدَّ تَعْلِيمِي (...) ابْنَتُكَ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَوَدُّ لَوْ
تَدَّ: إِلَيْكَ بِالْكَثِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ (tant et tant de choses) فَالْتَرَدَادُ حَتَّى مَهْمٌ.

أَمَّا عَنْ رِكَازَةِ التَّرَحُّمَةِ فَلِأَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ نَقْصِرُ عَلَى بَعْضِهَا:

— ص ١٨: «إِنِّي أَفْكَرُ غَالِبًا فَيْكَ» — وَبِأَلَيْتِهِ نَبِيلٌ: «غَالِبًا مَا أَفْكَرُ فَيْكَ».

— ص ٢٠: «أَتَتْنِي لَكَ، أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ، الْكَثِيرُ مِنَ السَّعَادَةِ» — وَحَبْنَدَا لَوْ مُسْخِجُ الْعَرْشِ
قَبْلِي: «أَتَتْنِي لَكَ، أَكْثَرُ مَتَى فِي أَيِّ وَقْتٍ...».

ص ٢١١: «يَرْغِبُونَ فِي اللَّعِبِ الصَّغِيرَةِ أَكْثَرَ» — وَالْأُنْسُ: «هَمٌّ أَشَدُّ رَغْبَةً فِي اللَّعِبِ
الصَّغِيرَةِ».

ص ٤٧: «مَهْمَا كَانَ الْمَكَانُ حَيْثُ نَقِيمٌ» — وَالْأَفْصَحُ وَالْأَبْطَحُ: «مَهْمَا كَانَ مَكَانُ إِقَامَتِهِ».

— ص ٧٥: «يُرِيدُ كَمَحْظِيَّةٍ لِحُبِّهِ أَنْ يَصْبِرَ شَبِيهَةً بِهِ» — وَمَنْ الرَّاخِصُ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ ثَقِيلَةٌ
وغير سليمة. وَأصلها الفرنسي: Privilégée de son amour, il veut te rendre semblable à lui
أَفْأَلَاوَلَى نَقْلُهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بِالصُّورَةِ الْآتِيَةِ: «لَتَقْدَّ بِمِزَكِ حُبِّهِ» — أَوْ: لَتَقْدَّ نَلَتْ حَفْوَ لَدَى حُبِّهِ —
فَأَرَادَ أَنْ يَصْبِرَ بِمِزَكِ...».

— وَمَا الْقَوْلُ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ: «شُكْرًا لَكَ مِنْ جَدِيدِ مِزْهَرِيَاتِكَ الْجَمِيلَةِ، كَمْ مَبْشَرُحُ يَسُوعُ بِأَنْ
يَكُونَ مَرْتَبًا هَكَذَا» (ص ١٠١)؟

وَلَمَّا تَقَرَّرَ طَوِيلًا عِنْدَ الْأَعْلَاطِ الشَّامَةِ الَّتِي وَرَدَتْ بِكَرَّةٍ، كَمَثَلٍ أَنْ يُقَالَ: «فَتَفَكَّرَ بِهِ»
عَرَضًا عَنْ «فَتَفَكَّرَ فِي» (ص ١٧، ٢٦، ٣٢، ٣٤...) أَوْ «نَسِيَ سَوِيَّةً»، وَ«بَعَلَّ سَوِيَّةً» بَدَلًا مِنْ
«نَسِيَ وَبَعَلَّ مَعًا» (ص ١٠٥، ٢٠٩)، أَوْ «حَقًّا بِهِ» بَدَلًا مِنْ «حَقًّا لَهُ» (ص ٢٥٩)، أَوْ «لِلْأَسَفِ»
بَدَلًا مِنْ «بِأَلْأَسَفِ» (ص ٥٠)، أَوْ «نَسَلِمَ رَسَائِلَ» عَرَضًا عَنْ «نَسَلِمَ» (ص ٢٥٨).

مِلَاحِظَةُ أُخْرَى سَرِيقًا تَخْفِضُ طَرِيقَةَ كِتَابَةِ الْأَعْلَامِ الْأَحْيَاةِ. فَمَنْ الْمُسْتَحْسِنُ لَدَى نَقْلِ مِثْلِ
هَذِهِ الْأَعْلَامِ تَشْكِيلًا لِيَسْتَيْلَ عَلَى الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ قِرَاءَتَهَا، وَالْأَفْكَيفُ يَلْتَمِزُ «بِرِسْوِيَّةً» أَوْ «وَرَفْرُوفِيَّةً»
أَوْ «مَلِيَّةً»؟ لَا بَلْ يَسْتَحْسِنُ إِسَافَةَ الصَّبْغَةِ الْأَحْيَاةِ إِلَى الصَّبْغَةِ الْعَرِيقَةِ فَتَعَمُّ الْفَائِدَةُ.
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمَهْمَا بَكِنَ مِنْ أَمْرِ سَائِرٍ مَا يَشَاءُ مِنْ هَفَوَاتٍ، فَالْحُلُوفَةُ حَاضَةٌ مُشْكُورَةٌ،
وَنُتَمُّ الْإِكْمَالِ لِلَّهِ.

أ. ك. حَشِيمٌ

بَيْنَ وَحْيِ اللَّهِ وَإِيمَانِ الْإِنْسَانِ

تَأَلَّفَ الْأَبُ فَاخِلُ سِيدَارُوسُ الْيَسُوعِي

سِلْسِلَةُ «دِرَاسَاتٍ لَاهُوتِيَّةٍ»، دَارُ الْمَشْرِقِ، ١٩٩٢، ٢١٠ صَفَحَاتٍ

يُنَازِلُ الْمُؤَلَّفُ الْعَقَبِيَّةَ وَالْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ فِي مَعْبَدِ الثَّرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ بِالسَّكَاكِينِ (الْقَاهِرَةِ).
وَكِتَابُهُ هَذَا هُوَ مَجْمُوعَةٌ مُحَاضِرَاتٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، أَلْفَاها فِي الْمَعْبَدِ الْمَذْكُورِ وَنَشَقَهَا لَتَصَحَّحَ
مُصَالِحَةٌ لِلنَّشْرِ. وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ لَاهُوتِيَّةٌ أُخْرَى كَانَتْ أَكْثَرُهَا مُحَاضِرَاتٍ فِي الْأَمَلِ، نَذَكَرَ مِنْهَا، عَلَى

سبل المثال: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ويسوع المسيح في تقليد الكنيسة، وتكوين الأناجيل، ومدخل إلى روحانية إغناطيوس دي لويولا (صدرت جميعها عن دار المشرق).

ولعل أفضل تعريف لكتاب بين وحي الله وإيمان الإنسان هو ما جاء في مقدمته: فإن موضوع كتابنا هو الرحي والإيمان. قاله يرحي بذاته وبالإنسان للإنسان، والإنسان يتجاوب معه بالإيمان. هذا هو أساس أي حديث لاهوتي في الأديان، ولا سيما في اليهودية والمسيحية والإسلام.

من هنا أضحى الموضوع في منطقة الشرق الأوسط حيث الأديان الثلاثة هذه، إذ إن لكل منها نظرة خاصة وإشكالية خاصة في ما نحن بصدده. وعلى الرغم من أننا ستعالج الموضوع من وجهة نظر مسيحية، إلا أن جفورها متأصلة في اليهودية ومنبرها في كل خطوة من خطواتنا. وأما وجهة النظر الإسلامية، فلن تعرض لها مباشرة، بل سنؤخر بها عرضاً بمقارنات خاطفة قد تفتح المجال للدراسة أشمل وأعمق.

وحيث إن في الشرق الأوسط الطوائف المسيحية الثلاث - الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية - يتحتم علينا أن نبرز التقاليد في شأن ما نحن بصدده. لذلك سنشهد بأبواب الكنيسة الشرقية والغربية، وفي داخل التقليد الغربي سنشهد بإشكالية الكللكة والإصلاح معاً. فنحن في عصر الحوار بين مختلف الأديان والطوائف، ومن المهم - في منطقتنا خاصة - أن نتطرق إلى دراسات لاهوتية مقارنة برزاة الفكر السديد.

وتنقسم معالجتنا للموضوع - طفاً للنعوان نفسه - إلى وحدتين، وحدة تعالج الرحي ووحدة تعالج الإيمان. إلا أن الوحدة الثانية تقسمها قسمين، الأول يتحدث عن الإيمان في حد ذاته، والثاني عن التعابير الإيمانية... وسيبين كل ذلك مدخل عام، وهو عبارة عن تفسير لنص كتابي يفيد موضوعنا، إذ إنه يبين كيف كان يسوع يرحي بذاته وبالإنسان، وكيف كان التلاميذ يعيرون عن هذا الرحي ويؤمنون بيسوع المسيح، أي طريقة الرحي والإيمان في العهد الجديد.

إن الأب فاضل سيداروس يجيد شرح القضايا العلية اللاهوتية وبعضها في تناول القارئ المادي، كما أنه يأخذ بعين الاعتبار واقعنا الشرقي والغربي، ولا يتروّد في إثناء شروحه بأراء شخصية هي من ثمرة تفكيره.

أ. صبحي حموي

المشورات الإنجيلية والنفس الإنسانية

تأليف جان غرييل رانكي،

تعريب الأب أليز أبونا

سلسلة «الحياة الروحية»، دار المشرق، ١٩٩٢، ١٦٣ صفحة

المشورات الإنجيلية هي النداءات التي تحت للؤمن على عدم الاكتفاء بواجب يؤدبه أو وصية من وصايا الله ينتهدها بها، بل تعملها إلى ما هو أقرب إلى الكمال بحسب ما دعا إليه الإنجيل. وقد

تركزت تلك المشورات في حياة الآلاف من الرجال والنساء عبر التاريخ على النذور الثلاثة التي في نطاقها تدور كل حياة رهبانية، وهي نذور الفقر والطاعة والعفة. وليست تلك الالتزامات مما يحد من طموح الإنسان أو حريته أو حريته كما يخيّل إلى البعض، بل إنها تشرح قلب الإنسان وتطلقه في رحاب سرّية الله وحبه وغمه، ومن خلالها في رحاب سائر أبناء البشر. المشورات التي يعرضها الإنجيل، إن تفرض بعض القيود فلتحزّر من نيرد أخرى تحريراً شاملاً نهائياً ولتضعف من طاقات الإنسان في المحبة والخدمة.

إنّ هذا الكتاب القيم موجه في الطليعة إلى الذين كرسوا ذاتهم في الحياة الرهبانية، ولكنهم ينتم أيضاً لجميع الراغبين في أن يعيشوا حياة أقرب ما تكون إلى الدعوة للرهبانية في الإنجيل إلى كلّ امرئ: «إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أموالك وأعطها للفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال واتبعني» (متى ١٩: ٢١).

ك.ح.

أرقص على إيقاع الحياة

تأليف الأخت فلورندا سلامه

سلسلة «الحياة الروحية»، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢، ١٠٠ صفحة

كتاب صدر منذ ثلاث سنوات بالفرنسية، وها هو اليوم بطلع بطبعته العربية وقد ترجمته الأتم ماري هيريت غانم الرئيسة العامة السابقة على رهنه القليتين الأقدسين. أما الكاتبة فراهبة شائنة من الرهبانية المذكورة تروي بأسلوب يثر ذكريات طفولتها وولادة دعوتها ورغبتها في خدمة الفقراء والتمساء. إلا أنّ طارئاً صحياً خطيراً ناء عليها فنهشها فتاوتها حتى تغلبت على اليأس شيئاً فشيئاً مستعينة بإيمانها ورجائها.

الوقائع والمماناة والأسلوب تنكاتف فحمل من مطالعة هذا الكتاب اللطيف متعة وفائدة حزيلة.

ك.ح.

الكنيسة القبطية

تأليف الأب موريس يار مارتان السورغي

نقله إلى العربية جورج عازار

سلسلة «موسوعة المعرفة للمسيحية» - تاريخ الكنيسة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢، ٩٠ صفحة

مؤلف هذا الكتيب من المختصين في الشؤون المصرية القديمة والحديثة على أنواعها، من ديبنة وتاريخية واجتماعية، وله في تلك الميادين الكثير من المقالات صدرت بالفرنسية في الدوريات المختلفة. أما هذا الكتيب عن الكنيسة القبطية فقد ألفه صاحبه أصلاً ليلجج في «موسوعة المعرفة

المسيحية. وهو يعالج على التوالي نشأة المسيحية في مصر ثم دخول الإسلام والعرب، فعصر الركود بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر، فالعصر الحديث وما آلت إليه الكيسة القطيعة اليوم. ثم هناك ملاحق: الأول حول حنسة المعابد التيطية، والثاني حول الليترجية، والثالث حول طائفة الأقباط الكاثوليك المستحدثة. إلى ثبت بأهم المراجع.

والكتيب على صغر حجمه جامع مكثف يفيد كل مثقف طليقة.

ك.ح.

مختلِف فيك اتلافي

(تأملات واعترافات)

تأليف الأب حليم عبدالله

منشورات المكتبة البولسية، جونية، ١٦٠ صفحة

صدر للأب حليم عبدالله حتى اليوم عدة كتب، بعضها منقول - من مثل مؤلف فيرجيل جورجيو المنون من الساعة الخامسة والعشرين إلى الأبدية - وبعضها موضوع - كمثل كتابه المرسوم بما لم يُكتب بعد عن الحرب في لبنان. وجميع هذه الكتب بنوعها المذكورين بليغة الجوهر والمخير مقاء، مفيضة لكلا العقل والروح.

وبالكتاب الجديد مختلِف فيك اتلافي بطالعا الأب عبدالله بعمل طريف ضريف هو، على صغر حجمه، لا بل بسبب صغر حجمه، عصارة خيرة وروحية وإنسانية مكثرة. فالكتيب كاية عن سلسلة من التأملات لجمعت في فصول منجاسة ترسم لوحة حيّة أو قل تسجل مسيرة ومعاناة. هي النفس تعسر وتشرّب بطاقتها وتفقراتها فريد الكمال والبهاء، وإذا بمحدوديتها تشدّ بها إلى الواقع الباهت. وتبور النفس أيضًا على بارئها في جهل منها لمشورات ومبروعات، وتخطئه بلغة الحبيب المحجور الكليل القلب والنظر. ثم تبدأ حدة الصراع تخمد وأوار التحرق يبرد فطاطئ الشردة رأسها باستسلام وقبول، ويتصور التبول تقدمًا للذات بين يدي الغائب الحاضر، الأب المعني السخي الذي يمسح آثار النقص والفقر عن أبنائه فيفتح قلوبهم ليخرجوا في ضوئه إلى الآخرين. ثم تُتَوَج المسيرة بتسبيح ذلك الذي أعطى بشور حساب...

جميل هذا الكتاب أنّه - على ما ذكرناه - صوّر تلك المسيرة المشحونة خيرة ومعاناة وحقيقة بصفحات قليلة وجيزة الكلام، مجنّحة الخيال أحيانًا، مقفأة العبارات أحيانًا أخرى. وتأنيك الفكر كاللسمات، سرّبة، نافذة، تضيء كرميض البرق إذ يلمع ثم يتوارى فيترك انطباعة في قلب العين أو عين القلب. وقد تسلس العبارة أحيانًا، فتصوّت كالسرط وتولم أو تنم من ألم، ولا عجب فلمعانة هي جوهر المسيرة، والاختلاف كان أساسًا قبل أن يتم الاختلاف.

كمات أبدع فيه الأب حليم وحقق لقارئه أن يقول له ما قاله هو لارته (ص ١٥٣):
ومكافأتك أن تراني سعيًا لامتلاحي منك.

أ. كميل حشيمه

المسيحي والطلاق

تأليف الأب كميل حشيمه البصري

سلسلة «موسوعة المعرفة المسيحية» - فضاء، ٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢، ٣٦ صفحة

قضية الطلاق لازمت مؤسسة الزواج منذ أن عرفها الإنسان. وجميع المجتمعات الشرقة والديانات - باستثناء المسيحية - سمحت به. وقد واجهت المسيحية، ولا سيما الكنيسة الكاثوليكية التي ترفض الطلاق رفضاً باتاً، انتقاد الكثيرين. وأنه في الحقيقة انتقاد نابع من جهل موقف الكاثوليك وعدم الاطلاع على مبرراته.

الكتيب الذي ألفه الأب كميل حشيمه يعالج الموضوع باختصار دون إغفال أي من العناصر التي تمت إلى القضية، فيشرح بوضوح النصوص الكتابية التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية - مبيّناً حاجة كيف ينبغي فهم قول المسيح في آية متى ٥: ٣٢ حيث جاء: «أقول لكم: من طلق امرأته، إلا في حالة انفحشاء، عرضها للزنى». ويتطرق إلى تعاليم آباء الكيسيين الغربية والشرقية، ثم يظهر في قسم ثالث أضرار الطلاق في المجتمع، ليتهي في الفصل الأخير إلى أن الطلاق مناب لمفهوم للحب بالذات وعظمة الإنسان المدعو إلى كمال الحب على مثال خالقه.

بولس سلامه، شاعر الملاحم والألم

تأليف الدكتور منصور عيد

سلسلة «شعراء لبنان» ٦، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢، ١٢٨ صفحة

يتناول الكتاب سيرة الشاعر وشخصيته، ويعرض مؤلفاته وأهم موضوعاتها، ثم يبحث في مرقع بولس سلامه بين الشعر والنثر، ويتطرق باختصار إلى المميزات العائنة في نثر بولس سلامه.

أما تجربة الألم وانعكاساتها على حياة بولس سلامه وأدبه فبرزت من خلال الفصول التالية: الألم المبدع، الألم والحياة، التسامي بالألم، الشاعر والعالم، الشاعر والمرأة.

ثم يتقل البحث إلى الشعر الملحمي محدثاً المفهوم العام للملحمة ونظرة بولس سلامه إلى هذا الفن الأدبي وعناصر الملحمة في شعره.

وفي القسم الثاني من الكتاب نماذج من شعر بولس سلامه ونثره في موضوعات متنوعة.

ع.م.

Foi Chrétienne et Inculturation au Proche-Orient

Par Louis Boisset, S.J. et alii

Beyrouth, 1992, 186 pages

Publications de l'Université Saint-Joseph,

Institut Supérieur des Sciences Religieuses

الإيمان المسيحي والثقافة في المشرق

بقلم لويس بواسيه اليسوعي وآخرين

منشورات جامعة القديس يوسف، المعهد العالي للعلوم الدينية

بيروت، ١٩٩٢، ١٨٦ صفحة

هذا الكتاب، باكورة منشورات المعهد العالي للعلوم الدينية، هو مجموعة من المقالات المتفاوتة الحجم تتناول أحد المواضيع الهامة في منظومة المواضيع اللاهوتية وهو الإيمان المسيحي والثقافة. وهذه الكلمات هي التي تُترجم الشق الأول من عنوان الكتاب بالفرنسية *Foi chrétienne et inculturation*، وربما كان الأصح الترجمة التالية: الإيمان المسيحي والانثقاف، وذلك للإشارة إلى الطريقة التي بها تعيد ثقافة معينة صياغة أو قولية فكر أو مفهوم أو مجموعة مفاهيم في ضوء قيمها الأساسية الخاصة. فالحدث عن الانثقاف، لا عن الثقافة فقط، بل بالأحرى على الجديد الذي يأتي به العنصر الخارجي، حيث يتجسد هذا العنصر في ثقافة معينة فيولد فيها معنى جديدًا. والشق الثاني من العنوان بالعربية: «في المشرق» لا يعبر تعبيرا وافيا عن كلمة *Proche-Orient*، التي تشير بالمفهوم الجغرافي، إلى مجموعة دول هي تركيا وسوريا ولبنان وإسرائيل ومصر والأردن وبعض دول «البحر العربي - الفارسي»، في حين أن مفهوم «المشرق» هو في الوقت نفسه أخصّ محالاً وأوسع من مفهوم الشرق الأدنى، فهو يشير من جهة إلى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، ومن جهة أخرى إلى اشرف عانة...

يتّوج مجموع المقالات مقسمة ثمة سيكبنغ اليسوعي يمهّد فيها محور الكتاب وللقضايا الرئيسية التي يبرزها ودحوّل اللاهوت في محيطه الشرق الأوسطي اليوم، كالعلاقة بالتراث، وأفعال كنائس الشرق بالإسلام، ووسيلة الثقافة العربية (هل هي ثقافة إسلامية؟) والعلاقة الوثنية بأوروبا وفكر الحديثة. ولذلك فإنّ هذا الكتاب هو مساهمة لـ «تعزيز لاهوت متجسّد» في واقع المسقنة. أمّا المقالات ففيها ما هو عمومي: «الكلمة والثقافة في سوات الكنيسة الأولى» لخان كوربون، و«الإنييل والثقافات، محدثات تاريخية» للويس بواسيه، و«التعددية ووحدة الصلاة المسيحية» لأوغسطان دوبري لاثور. ومنها ما يعالج موضوع الإيمان وارتباطه بثقافة معينة: «الإيمان المسيحي في وضع تعددي ثقافي» خلد دوكرويه. و«مسيحيون ومسلمون في مواجهة تحدي الحديثة» لسير خليل محير، و«الانثقاف والإيمان المسيحي في الشرق الأوسط» لخان كوربون. من مجمل هذه المقالات، التي يصعب مراعاتها واحدًا فواحدًا في هذا العرض السريع، نتوقف عند بعض النقاط:

١ - من الوجهة الأبستمولوجية، إن موضوع الانثقاف هو موضوع خاص باللاهوت الغربي

والغرب بشكل عام في إطار أزمة الخطاب المسيحي والإنسان المعاصر وقضية الحداثة. لا شك أن الموضوع أعمق في واقع العالم الشرق أوسط اليوم. إلا أن ما يواجه المسيحية الشرق أوسطية اليوم هو قبل أي أمر آخر وضعف الخطاب اللاهوتي نفسه، بما فيه شروط وضعه، والقضايا الرئيسة التي عليه أن يواجهها، والعلاقة بثقافة معبّنة. وهذا الموضوع ليس إلا واحدًا بين العديد من المواضيع، كميثاق المسيحية الشرقية، وروحانياتها، وكنائسيتها، وعلمانياتها، ورسالتها اليوم.

٢ - وربما قبل الحديث عن الخطاب اللاهوتي لا بد من «خلق» القاعدة والشروط الموضوعية الضرورية، كنشر النصوص الأساسية الخاصة بالتراث الشرقي أكان لاهوتيًا أم روحانيًا، وإعادة قراءة التاريخ الكنسي قراءة إنجيلية لا طائفية...

٣ - يبقى أن هذا النوع من الإسهامات الفكرية هو حجر في مدمك البهضة الكنسية حيث إن لا نهضة إلا في إطار خطاب نقدي متقدم يتناول القضايا التي تهتم الكنيسة.

م.د.

Statistique Séricicole 1925 Recensement du secteur de la soie dans l'Etat du Grand Liban

Réalisé par Antoine Boutros Labaki (1904-1962),
Edité par Janine Ghosn et Boutros Labaki,
Centre d'Etudes et de Réalisations pour le Développement.
Beyrouth, 1992, 76 pages

ستاتستيك الحرير ١٩٢٥

مسح إحصائي لقطاع الحرير في دولة لبنان الكبير

أجراه أنطوان بطرس لبكي

(١٩٠٤ - ١٩٦٢)

هذا كتاب ضريف فريد من نوعه، بالغ الأهمية لكل من يدرس تاريخ الزراعة والاقتصاد في لبنان.

قام بهذا المسح المهندس الزراعي المرحوم أنطوان بطرس لبكي إذ كان في ريعان شبابه ولمّا بلغ من العمر الثانية والعشرين. ومن المعروف عنه أنّه أحد أوائل اللبنانيين المتخرجين من جامعة مونتيليه (فرنسا) وذلك عام ١٩٢٣، وهو في التاسعة عشرة من عمره، وقد حاز أيضًا في السنة نفسها على شهادة الحقوق الإدارية والمالية. وكان من اختصاصيه وكفايته أن أقره لتيّزاً عدّة مناصب رفيعة في إدارات مصالح الزراعة والحرير وحضر التيف والتبناك.

إنّ هذا الإحصاء الذي قام به أنطوان لبكي يسوق من المعلومات ما يسدي للمطالعين أجلّ الخدمات. فهو يبيّن على سبيل المثال لا الحصر، المساحات المزروعة توتًا وعدد الأشجار فيها عام

١٩٢٥، والفارق بين هذا العهد في العام المذكور وما قبل حرب ١٩١٤ - ١٩١٨، وعدد مرثي دود الحرير، وإنتاج الشرائق «الخضراء»، ومردود علة البزر بالشرائق، وعدد المغازل، وعدد دواليب مغازل الحرير، ونوعية الحيطان المفزولة، وأسماء أصحاب المغازل، إلخ. وسائر تلك المعطيات موزعة بحسب كل مديرية ومحافظه في لبنان، مما يجعل من هذا المسح مساهمة فريدة قيّمة للنس تاريخ الزراعة والصناعة في لبنان دراسة كئيّة مفصّلة شاملة.

والفضل في نشر هذه الوثيقة النادرة يعود إلى الدكتور بطرس لبكي، نجل للمؤلف، وزوجته الباحثة جانين غصن لبكي، وقد أصدرته ضمن منشورات «مركز الدراسات والمشاريع الإعمائية» الذي يشرفان عليه في بيروت. والتقرير محرّر بالفرنسيّة، أمّا مقدّمة الناشرين فهي بالفرنسيّة والعربيّة.

ك.ح.

Le Paléolithique et l'Épipaléolithique de la Syrie et du Liban,

par Francis Hours, s.j.

Collection «Hommes et Sociétés du Proche-Orient», Faculté des Lettres et des
Sciences Humaines, Université Saint-Joseph (Beyrouth)

Dar el-Machreq, Beyrouth, 1992, 154 pages

كان مؤلف الكتاب، المرحوم الأب فرنسيس هور، المتوفى سنة ١٩٨٢ والرئيس السابق على البشريّين في الشرق الأدنى، أحد أشهر العارفين بعلم ما قبل التاريخ الخاصّ بالشرق العربي، وله في هذا المجال عشرات المقالات وبعض الكتب تشهد له بؤل الباع وعلو المنزلة. وكتابه المذكور هنا خلاصة ما أصدره من أبحاث، إن منفرداً أو مع معاونين له، في ميدان العصور الحجريّة سورية ولبنان. والكتاب مرفق بخرائط ورسوم كثيرة ولوائح بالمصادر والمراجع، كما ويتضمّنه ثبت - في عشر صفحات - لسائر ما ألفه العلامة الراحل.

ك.ح.

شروط الكتابة في «المشرق»

- تصدر المشرق مرتين في السنة (كانون الثاني/يناير، وتموز/يوليه) وفي نحو ٥٠٠ صفحة لمجموع الجزعين.
- يُرجى من السادة المؤلفين إرسال مقالاتهم مطبوعة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح.
- لا تُعاد مخطوطات المقالات إلى أصحابها، سواء نُشرت أو لم تُنشر.
- جميع الحقوق محفوظة لمجلة المشرق.

بدل الاشتراك عن السنة الواحدة

٧ دولارات أميركية	في لبنان وسورية
(أو ما يعادلها)	
١٥ دولارًا أميركيًا	في البلاد العربية (بما فيه تكاليف الإرسال)
٢٥ دولارًا أميركيًا	في البلدان الأخرى (بما فيه تكاليف الإرسال)

Abonnement annuel

Liban et Syrie	7 dol. U.S. (ou leur équivalent)
Pays arabes (frais de port compris)	15 dol. U.S.
Autres pays (frais de port compris)	25 dol. U.S.

مجموعات «المشرق»

ثمة أعداد قديمة من المشرق متفرقة. بعضها في مجلدات مكتملة، وبعضها متفرقة.
وقريبًا جدًا تتوفر مجموعات كاملة من المجلدات الأربعة والأربعين الأولى (١٨٩٨ - ١٩٥٠).
فيمكن مراجعة إدارة المجلد في هذا الشأن.

les Libanais se dirigent davantage vers de nouveaux pays, en Afrique Noire anglaise et française notamment..... 177

La question des eaux du Nahr el-Kalib: Histoire et Législation.
par Hyam Mallât.

Dans une première partie l'A. donne un bref aperçu des coutumes établies dans l'ancien Liban pour la répartition des eaux; dans une deuxième, il en expose les fondements juridiques; dans la troisième et la plus développée il étudie le firman impérial relatif à la concession pour l'exploitation des eaux du «Fleuve du Chien» et l'historique (entre 1870 et 1926) de la Compagnie fondée à cet effet. 207

Les «Maqâmât» chrétiennes d'Ibn Mâri. Troisième «Maqâma».
éditée par Wahid Subhî Kabbâbeh.

Ibn Mâri, mort en 1225 A.D., s'est rendu célèbre par ses soixante «Maqâma» «séance littéraire», où il se montre l'égal des deux géants du genre: al-Hamadânî et al-Ḥarîrî. W.S.K. prépare une édition de la totalité des «séances» du grand écrivain chrétien et fournit ici un échantillon de son travail, la 3ème «maqâma»..... 235

Rûkuz b. Zâ'id al-'Uzayzî. Une voix qui crie dans le désert.
propos recueillis par Samî Hallak, s.j.

Rûkuz (Roch) b.Z. est un écrivain jordanien de la tribu chrétienne des 'Uzayzât. Membre de l'Académie Arabe de Jordanie, il s'est rendu célèbre par ses travaux sur les bédouins et leurs coutumes. Il est également l'auteur de nombreux ouvrages touchant à plusieurs domaines: histoire, langues, roman, théâtre. Sa conversation avec S. H. reflète ses différentes préoccupations..... 243

Recensions de livres

Autour du livre *Les Droits de l'Homme en Islam* - éd. Tlass, Damas, 1992 (G. Jabbour); S. ad - D. al-Amîdî: *al-Imâma. min abkâr al-afkâr fî usûl ad-dîn* (S. Daccache); R. ad-dîn al-Malâhimî al-Huwârîzmî: *al-Mu'tamad fî usûl ad-dîn* (S.D.); A. M. Zayrûn: *l'igâz al-Qur'ân wa ataruhu fî tarawwur an-naqd al-adabî*; *Bayna-t-turâb wa-r-rûḥ* (C. Hechaimé); *Al-Mağma' al-Vâtikânî at-tâni* (C. H.); A. Muṣliḥ: *As-Siyâsî al-qiddîs. al-Mabâtma Gândî* (A. Dagher); *Rasâ'il al-qiddîsa Tîrîsiyâ at-tîlî Yasû'* (C. H.); F. Sîdârûs: *Bayna waḥî-l-lâh wa imân al-insân* (S. Hamoui); J.G. Ranquet: *al-mašûrât al-ingîliyya wa-n-nudġ al-insânî* (C. H.); F. Salâmeh: *Arquṣ'alâ iqâ'al-ḥayâ* (C. H.); M. P. Martin: *al-Kanîsa al-qibḍiyya* (C. H.); H. 'Abdallâh: *Muḥtaliḥun fîka-h-ḥitlâfî* (C. H.); C. Hechaimé: *al-Mašîḥî wa-t-ṭalâq*; M. 'Id: *Bûlus Salâmeh Sâ'ir al-malâhim wa-l-alam* (E. M.); *Foi chrétienne et inculturation au Proche-Orient* (S.D.); A. Labaki: *Statistique séricicole 1925 (...) dans l'Etat du Grand Liban* (C. H.); F. Hours: *Le paléolithique et l'épipaléolithique de la Syrie et du Liban* (C. H.)..... 225

une introduction à la méthode et à ses techniques qui seront appliquées
aux 14 textes analysés par la suite.

95

*Les causes de la disparition de l'Eglise d'Afrique du Nord après
la conquête arabe,*

par le P. Paul Décisier, s.j.

L'A., qui vit et travaille en Algérie, estime que la disparition de la
chrétienté d'Afrique du Nord après la conquête arabe ne s'est pas pro-
duite brusquement. Il a fallu pour cela environ cinq siècles, au cours
desquels plusieurs facteurs ont joué et se sont conjugués: influence
lointaine de Carthage (parenté entre le punique et l'arabe), politique
partisane de Rome dans l'économie, peur des Barbares du Sud, «fragi-
lité» du christianisme africain, organisation trop épiscopale et paterna-
liste de l'Eglise d'Afrique, délabrement de cette même Eglise et son
isolement, absence d'une Eglise «nationale».

131

Lettres du Pape Jean-Paul II sur le Liban,

par le P. Maurice-Marie Martin, s.j. (†).

Durant son séjour au Liban, alors qu'il était Provincial de la Compa-
gnie de Jésus au Proche-Orient (1980-1986), le P. Maurice-Marie Mar-
tin s'est profondément intéressé à la question libanaise. Dans cet ar-
ticle, publié à titre posthume, l'A. analyse le contenu des lettres que le
Pape a envoyées entre 1983 et 1985 aux différents responsables liba-
nais, soulignant que le Liban, comme on le sait, n'est pas en marge de
l'Histoire, mais est plutôt un «message» de convivialité qui porte une
valeur universelle.

155

Pour le 30ème anniversaire de la mort de Louis Massignon (1962-1992):

Quelques lettres que lui a adressées Louis Cheikho,

éditées par le P. Camille Hechaïmé, s.j.

En 1970 *al-Machriq* publiait 14 lettres de L. Massignon au P. Louis
Cheikho. Maintenant ce sont 5 autres, envoyées cette fois par le savant
Jésuite au grand arabisant (et aimablement communiquées par M.
Daniel Massignon fils de l'éminent disparu). Si les lettres de Cheikho
sont de moindre portée que celles de son correspondant, elles ont du
moins l'avantage de compléter les premières et d'apporter un certain
nombre de renseignements utiles pour l'histoire des lettres arabes.

169

L'émigration libanaise au temps du Mandat (1920 - 1942),

par Boutros Labaki.

A partir de documents d'époque et de statistiques détaillées l'A. mon-
tre que de nombreux éléments, quelquefois contradictoires, président
au mouvement de l'émigration libanaise sous le mandat français. Dès
1919, et après l'interruption due à la Première Guerre Mondiale,
l'émigration reprend. A partir de 1929 - et quelques années avant pour
les USA - la crise économique mondiale se répercute sur les départs et

point de jonction entre les différentes mystiques et, à partir de là, entre les deux religions musulmane et chrétienne? Loin d'une approche prosélyte, l'A. étudie objectivement les textes mystiques qui supposent un rapprochement par l'idée de l'amour divin.....

49

Les apparitions entre le réel et l'imaginaire,
par Sami Hallak, s.j.

Un peu partout dans le monde et particulièrement dans les pays du Proche-Orient, on entend parler, surtout aux époques troublées, d'apparitions et autres phénomènes qui sortent de l'ordinaire. L'étude de S.H. tente de faire le point et s'articule autour de quatre axes principaux: Le premier rapporte des données historiques, le second traite des relations entre les apparitions et le domaine psychique; un autre se penche sur la position de l'Eglise concernant ces phénomènes, et le dernier présente des critères pour juger de l'authenticité des faits.

63

Court exposé de l'herméneutique en Islam,
par Ahyaf Sinno.

L'article en question est extrait d'un livre à paraître sous l'égide de l'Institut d'Etudes Islamo-Chrétiennes de l'Université Saint-Joseph, intitulé: *Méthode Rhétorique et Herméneutique: analyse de textes de la Bible et de la Tradition Islamique*. Ce premier volume d'une nouvelle collection a pour auteurs une équipe de chercheurs islamo-chrétienne comprenant les Professeurs Ahyaf Sinno et Nayla Farouqi et les Pères Jésuites Roland Meynet et Louis Pouzet.

On y a tenté - pour la première fois dans un tel domaine - d'appliquer à des textes des deux traditions chrétienne et islamique, la méthode d'analyse «rhétorique» déjà opératoire depuis longtemps dans le domaine des études bibliques. Cette dernière est basée essentiellement sur le repérage de structures rhétoriques communes à ce type de textes. Il ne s'agit pas, en l'occurrence, de comparer entre eux le contenu de ces différents textes, mais plutôt d'en dégager les composantes formelles et stylistiques communes.

Les auteurs ont été amenés ainsi à penser que ces textes de traditions et d'époques différentes ont en commun un type particulier et original, dont les structures et les modes d'expression se démarquent nettement de ceux de la rhétorique gréco-latine familière jusqu'ici aux savants biblistes.

Une première partie expose la méthode rhétorique, son histoire et son évolution, avec beaucoup d'exemples. La deuxième est l'application de ces principes à 14 textes de l'Ancien et du Nouveau Testaments, et de la Tradition islamique, de longueur et de complexité croissantes.

L'article ici proposé est extrait de la première partie de l'ouvrage; avec son pendant pour l'exégèse chrétienne, on peut le considérer comme

SOMMAIRE

Le Statut du «sentiment» dans l'expérience religieuse,
par le P. Salim Daccache, s.j.

L'A. souligne l'émergence des nouveaux mouvements religieux et le «réveil religieux» tant en Occident qu'en Orient, et la place qu'occupe le sentiment, l'affectif et le subjectif dans ce phénomène. Cependant le «sentiment» a sa fonction et son statut dans l'expérience religieuse authentique, d'après ce que dit et affirme l'anthropologie religieuse, représentée dans cet article par Schliermacher. Le sentiment n'est pas un simple affect ou réaction psychologique mais un sentiment ontologique de dépendance absolue. En cela, nous découvrons que la religion n'est pas liée à des soubresauts occasionnels et à des situations socio-politiques localisées, mais à un universel se situant dans la perception qu'a l'homme de lui-même

7

La théologie populaire et la vénération des Saints,
par le P. Thom Sicġing, s.j.

La vénération des saints est l'un des aspects saillants de la «religion populaire», notion bien explicitée dans l'introduction de cet article. Comment les croyants au Liban, musulmans et surtout chrétiens, se représentent-ils les saints, leur présence, leur action...? L'A. étudie, dans une approche sociologique, ce phénomène, en s'arrêtant sur la perception qu'ont les croyants au Liban de Saint Georges et de la Vierge Marie. La conclusion souligne les aspects positifs et négatifs de ces cultes.

25

L'amour divin d'après Jean de la Croix et les mystiques musulmans,
par Samih Dghaym.

Deux questions de fond conditionnent l'approche de cet article: la vie mystique, telle qu'elle a été pratiquée par les mystiques chrétiens et musulmans, peut-elle résorber la distance qui existe à l'intérieur des dualismes, à l'exemple du créateur et du créé, de la ressemblance et de la dissemblance, de l'unité et de la trinité...? L'amour divin est-il le

AL-MACHRIQ

Revue semestrielle culturelle
fondée par
les Pères de la Compagnie de Jésus
en 1898

Soixante Septième année
1993

BEYROUTH
DAR EL-MACHREQ